رؤيا عبدالمطلب وهو بعد حمل مستكن في بطن أُمّه، لم يكد يتخلّق، أومأ القدر إلى قدره من خلايا رؤيا زارت جدّه عبدالمطلب في المنام. فلمّا أن انبلج[169] الصبح، سعى الشيخ لتأويل رؤياه إلى كاهنة عرّافة، ذات فراسة وعلم، مضى ... لعلّ تفسيرها يخفّف عنه بعض همٍّ أوقره[170] به ما رآه، وأضاف إلى الغضون[171] التي شقّتها السنون[172] في وجهه أخاديد. وأنبأ المرأة الخبر، قال: «إنّي لنائم في الحجر، إذ رأيت رؤيا هالتني، رأيت كأنّ سلسلةً خرجت من ظهري، وكان لها طرف في السماء وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم رأيتها غدت شجرةً، وعلى كلّ ورقة بالشجرة نور، ما رأيت نوراً أزهر منه، ثم رأيت أهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها، فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً فلم أنله، فانتبهت مذعوراً فزعاً..». * * * كان عبدالمطلب ـ وهو يتحدّث ـ كمن يلهث، كلماته تتموّج، صوته يهتزّ بالتوجّس[173]، نظراته تترجرج[174]. وكانت الكاهنة ـ وهي تصغي ـ كمن تنعس، رأسها على صدرها، بصرها إلى الأرض، وعيها غائب كأنّما ذابت في الدهشة.